الأبعاد السياسية للعدوان الإسرائيلي على سوريا

09-10-2003

ولم تمهل الولايات المتحدة السوريين وقتا طويلا بعد الحرب العراقية لإعادة ترتيب أمورهم، فقد بدأت الضغوطات والاتهامات والرسائل تصل من كل من واشنطن وتل ابيب، وقام وزير الخارجية الامريكي بزيارة إلى سوريا تحمل جملة من المطالب الصارمة والواضحة، وقد حاولت القيادة السورية تحقيق بعض هذه المطالب الخاصة

بقلم محمد سليمان

يأتي العدوان الاسرائيلي على سوريا بعد سلسلة من الضغوط الأمريكية التي أعقبت الحرب العراقية ، وفي سياق المخطط الأمريكي لصياغة المنطقة العربية بما يتناسب مع المصالح الأمريكية والاسرائيلية. وقد تلا العدوان موافقة الكونغرس الأمريكي على قانون محاسبة سوريا، وكلا الحادثين يتضمنان رسالة سياسية لن تعجز القيادة السورية على التقاطها، ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى تصريحات عدد من المسؤولين الأمريكيين بعد انتهاء الحرب العراقية وفي مقدمتهم وزير الخارجية الأمريكي كولن باول: بأن على سوريا أن تعرف أن هذه المرحلة جديدة ومختلفة عن المرحلة السابقة.

فلقد بدأ مسلسل التضييق الفعلي على سوريا منذ نهاية الحرب الباردة، وزوال الحليف التقليدي للسوريين وهو الإتحاد السوفيتي، واستطاع العاهل السوري السابق حافظ الأسد تقليل الضغوط والتحايل عليها من خلال الدخول إلى مؤتمر مدريد والولوج إلى عملية السلام، بيد أن الموقف السوري والذي يحاول الوصول إلى شروط معقولة للصلح والتمسك بتحالف إقليمي عربي مع مصر والسعودية لم يوقع على اتفاقية سلام مع اسرائيل في ضوء الشروط الإسرائيلية الموضوعة، على الرغم من أن الأمور كادت أن تُحل في فترة حكم بارك عندما قدم العديد من التنازلات قبل سقوطه، والتي تراجعت عنها فيما بعد حكومة الليكود.

وعادت الضغوط الأمريكية على سوريا - والموضوعة أصلا على قائمة الإرهاب- بعد وصول المحافظين الجدد إلى الحكم في البيت الأبيض، وبدأ الحديث عن قانون محاسبة سوريا والدعم السوري لمنظمات "إرهابية" كحماس والجهاد وحزب الله، وتعالت أصوات كثيرة في المؤسسات السياسية الأمريكية تطالب بوضع عقوبات على سوريا، وحاولت القيادة السورية الجديدة المراوغة السياسية وفتح قنوات اتصال مع البيت الأبيض، والتخفيف من تصريحات المسؤولين السوريين ضد الولايات المتحدة، إلاّ أن الموقف السوري من أحداث ايلول والتنسيق الأمني مع الولايات المتحدة حسن من وضع سوريا في نظر واشنطن، خاصة مع تقديم سوريا معلومات سخية عن الجماعات الإسلامية ونشاطها، وبدأ الحديث السوري عما يسمى بالقناة الخلفية التي كتب عنها عدد من المحللين الأمريكيين وهي اقتراح سوري بوجود تنسيق متواصل مع الولايات المتحدة من خلال ما يسمى بالقناة الخلفية ، إلا أن هذا الإقتراح لم يلق آذانا صاغية عند قادة البيت الأبيض. .

وجاءت الحرب العراقية وقد وضعت سوريا كل ثقلها غير الرسمي مع العراق، ونشط الموقف السوري في معارضة الحرب، وحاول السوريون الإندفاع بكل ثقلهم خلف الموقف الفرنسي الرسمي المعارض للحرب وللهيمنة الأمريكية على العالم، وقد أدركت القيادة السورية أن الحرب العراقية هي المرحلة التمهيدية لوضع سوريا أمام استحقاقات كبيرة من قبل الولايات المتحدة واسرائيل، تقوم على إعادة صياغة السياسة السورية داخليا وخارجيا بما يتوافق مع المشروع الأمريكي – الصهيوني.

ولم تمهل الولايات المتحدة السوريين وقتا طويلا بعد الحرب العراقية لإعادة ترتيب أمورهم، فقد بدأت الضغوطات والاتهامات والرسائل تصل من كل من واشنطن وتل ابيب، وقام وزير الخارجية الامريكي بزيارة إلى سوريا تحمل جملة من المطالب الصارمة والواضحة، وقد حاولت القيادة السورية تحقيق بعض هذه المطالب الخاصة

بإغلاق مكاتب المنظمات الفلسطينية المعارضة للتسوية، إلا أن هذا أيضا لم يشفع لها للوصول إلى الرضا والإرتياح الأمريكي، واستمرت الرسائل وكان آخرها العدوان الإسرائيلي والموافقة الضمنية الأمريكية عليه من خلال قرار الفيتو ضد إدانة اسرائيل بمجلس الأمن ، ثم قانون الكونغرس والذي يتضمن دخول سوريا في مرحلة

جديدة من الضغوط والحصار والتشديد الأمريكي.

وهنا يبرز السؤال : ماذا تريد الولايات المتحدة من سوريا؟..

لا أعتقد ابتداءً أن الإدارة الأمريكية أو الحكومة الصهيونية معنية بتغيير القيادة السورية أو بنية النظام العلوية، بل إن السياسة الأمريكية تقوم على تسليم شؤون الحكم والأمر في العديد من دول الشرق الأوسط إلى الأقليات العرقية والمذهبية، ويمكن حصر المطلوب في النقاط التالية:

- دفع السوريين إلى القيام بإصلاحات سياسية واقتصادية تتوافق مع المشروع الأمريكي والإنفتاح الاقتصادي والسياسي المطلوب والذي يسهل الطريق إلى دخول السلع والثقافة والمفاهيم الأمريكية بشكل كبير إلى سوريا، ودمج الإقتصاد السوري بعجلة الإقتصاد العالمي، وانصياعها إلى برامج المؤسسات المالية الدولية.
- تغيير السلوك السوري جذريا اتجاه التسوية وعملية السلام، وقبول سوريا ولبنان.
- تحييد سوريا نهائيا في معادلة إيران والأهداف الأمريكية فيها.

في ضوء الأهداف الامريكية السابقة : كيف نقرأ التطورات الأخيرة؟..
يبدو أنها رسالة واضحة لسوريا بأن احتمال الحرب والعدوان عليها قائم ولا يوجد ما يمنعه، في إطار عجز المجتمع الدولي بوضع حد للسلوك الأمريكي المتغطرس، وفي إطار وجود ضوء أخضر أمريكي للعدوان، وفي ضوء انهيار النظام الإقليمي العربي الرسمي واستسلامه أمام المشروع الأمريكي، كما أن الحالة الشعبية العربية غير
قادرة في سياق الظروف الدولية والإقليمية ومعادلة السلطة في الداخل على أحداث أي عمل مؤثر على مجرى الأمور.
كما أنها إشارة واضحة إلى تغير طبيعة ودرجة الضغوطات ووصولها إلى مرحلة متقدمة جدا وإلى ما قبل الحافة المنذرة بحرب حقيقية تقضي على القوة السورية الهشة أصلاً. وهنا يبرز سؤال آخر: هل هناك امكانية حقيقية لوقوع العدوان الاسرائيلي على سوريا ولبنان؟
الجواب بوضوح : نعم، فإذا لم تحدث استجابة إيجابية نوعية مميزة وقوية من قبل القيادة لسورية للرسائل الامريكية والاسرائيلية، فإن الحرب ستحقق عدة أهداف كبيرة:
1- ستؤدي إلى تعزيز موازين القوى بشكل حاد لصالح اسرائيل، وستدفع سوريا للتوقيع
على توقيع زقف اطلاق النار، ثم الدخول بالتسوية وفق شروط جديدة في ضوء المعادلة الجديدة.
2- تدمير جزء من الينية التحتية لحزب الله، وكسر الحالة النفسية له وإضعاف موقفه في الداخل، مع تقوية الاتجاهات المارونية التي تطالب بوضع حد له وللتدخل السوري.
3- القضاء على جزء رئيسي من الترسانة السورية.
4- إضعاف موقف المقاومة الفلسطينية في الداخل، وتدمير البنية التحتية لحماس والجهاد، ومصادر الدعم الخارجي
على ما يبدو، فإن المرحلة القادمة حرجة جدا وحساسة للسوريين وقد تضعهم أمام بدائل محدود وضعيفة.